مشاهير النساء في العصر المغولي

م.م. اسراء مهدي مزبان / جامعة واسط/ كلية التربية/ قسم التاريخ
م.م شيماء بدر عبد الله / جامعة واسط / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة :

تناولنا في بحثنا هذا ((مشاهير النساء في العصر المغولي)) فقد تركت المرأة أثرا ملموسا في تولي زمام الأمور في الإمبراطورية المغولية حيث استطاعت المرأة الدخول لمعترك الحياة السياسية مستخدمة كل ما امتلكته من مقدرة وحكمة لتحقيق غايتها في وصولها أو إيصال من تريد إلى عرش الخانية في الدولة المغولية .

وقد قسمنا دراستنا إلى ثلاث مباحث ضم المبحث الأول دور النساء المغوليات في قيادة القبيلة قبل قيام الدولة في حين احتوى المبحث الثاني على دور النساء غير المغوليات في حكومة جنكيز خان أما المبحث الثالث فقد تناول أثر النساء المغوليات في إدارة الإمبراطورية المغولية ثم جاءت الخاتمة لعرض أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها في بحثنا هذا . واعتمدنا في كتابة البحث على جملة من المصادر والمراجع والتي كانت خير عون لنا في بحثنا هذا وفي مقدمة تلك المصادر كتاب (جامع التواريخ) لمؤلفه رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت 718هـ) والذي يعد من أشهر مؤرخي المغول إذ تناول تاريخ المغول بشكل واسع فكان من بحق موسوعة العصر المغولي ولا غنى للباحث في تاريخ المغول عنه لما عرضه من أحداث سياسية وعسكرية واقتصادية إذ أنه لم يترك بابا لا وطرقه بشكل واضح عن العصر المغولي أما كتاب (تاريخ فاتح العالم) لمؤلفه عطا ملك الجويني (ت 681 هـ) فإنه من أهم وأشهر وأول الكتب المغولية التي كتبت في تاريخ المغول لاسيما وإن الجويني استمد مادته في حديثه عن تاريخ المغول من منصبه وزيرا في الدولة المغولية فجاءت كتاباته عن المغول موثوقة فيها وفق ما دونه من وثائق كانت تحت يديه بحكم منصبه في حكومة المغول .

أما أهم المراجع التي اعتمدنا عليها إلى جانب تلك المصادر فهو كتاب (حياة يتموتشلجين) لمؤلفه كتبتشاتوف الذي قدم آراء حول تاريخ المغول الطويل بعد أن جعل تاريخ المغول مقرونا بمؤسس أركان الدولة المغولية جنكيز خان الذي حمل اسم تيموشلجين فضلا عن جملة من المصادر والمراجع أوردنا ذكرها في قائمة المصادر والمراجع .

((المحتويات))

المقدمة

المبحث الأول : ـ

دور النساء المغوليات في قيادة القبيلة قبل قيام الدولة .

المبحث الثاني : ـ

دور النساء غير المغوليات في حكومة جنكيز خان .

المبحث الثالث : ـ

أثر النساء المغوليات في إدارة الإمبراطورية المغولية .

الخاتمة .

المبحث الأول : دور النساء المغوليات في قيادة القبيلة قبل قيام الدولة كان لنساء المغول أثرا واضحا في تولي أمور القبيلة قبيل قيام الدولة المغولية لاسيما وأن حياة المغول كانت مليئة بالمصاعب والمعاناة التي ارتبطت بقسوة الطبيعة التي أملت بقوانينها على الرجال والنساء وبالتالي فعند موت زعيم القبيلة يتعين على المرأة في بعض الأحيان إدارة شؤون القبيلة وخاصة إذا كانت معروفة بالقوة والحكمة والمقدرة في تولي شؤون عائلتها فتنعكس تلك الصفات لتجعل منها صاحبة القيادة في ظروف صنعها لها القدر تارة والاختيار تارة أخرى .

ومن بين النساء اللواتي لم يصنع لهن القدر اختيار الا تولي القيادة السيدة الحكيمة (أو ـ الون) التي تولت زمام أمور قبيلة زوجها بعد وفاته فقد أخذت على عاتقها قيادة القبيلة التي كان يحكمها يسوكاي الذي استعمل نفوذه وهيبته في جمع العشائر الصغيرة المتناثرة تحت سلطته والتجمع حول عشيرة القيان التي قبلت زعامته في الحرب وفي الصيد وكانت مقومات دوام هذا التجمع تأمين مصالح العشائر في الغزوات والمعارك وأن يكون لها زعيم قادر محنك مثله غير أن وفاته أدت إلى انفراط عقد ذلك التجمع .

وبعد وفاة يسوكاي أخذت العشائر التي انضمت تحت رايته بالخروج عن طاعة أولاده الصغار من بعده وبدئوا في الانضمام إلى القبائل الأخرى القوية لتكوين تحالفات مع بعضها البعض وفي ظل هذا الموقف أخذت (أو ـ الون) على عاتقها تولي أمور من بقي من أفراد قبيلتها وأعلن بعض أصحاب زوجها في بدء الأمر بأنها زعيمة عليهم بموجب وصايتها على أبناءها القصر غير أن تلك الزعامة لم تستمر طويلا فسرعان ما عقد أولئك الأصحاب الذين نصبوا (أو ـ الون) زعيمة عليهم اجتماعا أعلنوا قرارهم بالرحيل عن المنطقة وهدم الخيام التي كانوا يقيمون فيها وترك تلك المرأة الأرملة وأطفالها في مكانهم دون أي معين لكي يواجهوا مصيرهم لوحدهم . ومع تلك الظروف القاسية التي عاشتها تلك المرأة والعزلة التي واجهتها غير أنها لم تستسلم لليأس فلقد بدأت تلك المرأة الحكيمة بكل ما امتلكته من شجاعة ومقدرة بالعمل على جمع شتات القبيلة التي رحلت عنها ولذلك امتطت صهوة جهودها حاملة راية القبيلة وخرجت خلف القبيلة المرتحلة رغبة منها في أن تثنيها عن الرحيل وأخذت تذكر أفراد قبيلتها بما كان لزوجها عليهم من وعود وعهود وأخذت تستنجد بهم أن يعودوا إلى ما كانوا عليه إلا أن توسلاتها ذهبت أدراج الرياح ولم تجد آذانا صاغية ولا عقولا ملبية[1] . وقد برر أولئك القوم تركهم القبيلة بقولهم : ((إن

[1] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص58 .

الرباط القوي الذي كان يمنحنا القوة والمنعة قد ذهب والصخرة التي كنا نحتمي وراءها قد تحطمت ولم يبق غير المرأة وأطفالها فما بالنا وإياهم))[2] .

وجد او ـ الون نفسها أمام قيادة من نوع جديد هو الاعتناء بعائلتها وقيادتهم وهم كل من (بتموجين وبكتير وبلجوني وسوشيجيل)[3] . لقد كان على هذه الأرملة أن تعتني بجميع أطفالها الصغار وقد هجرها كل أتباعها ورموا بها من حياة زعامة القبيلة إلى وجود أشبه بوجود الخارجين على القانون والضائعين بين الغابات و السهوب . [4]

وفي تلك البلاد الموحشة عاشت أو ـ الون مع أطفالها بعد أن استجمعت قواها وأخذت بتدبير أحوال صغارها حتى لا يموتوا جوعا ولذلك عمدت إلى جمع ما تستطيع من القوت لأبنائها الصغار وأخذت تطوف الأرض حول ضفاف نهر أونون ولقد ساعدتها منطقة ما وراء النهر والتي عرف عنها بكثرة الغابات والمرتفعات التي تكثر فيها الأدغال والشجرات وبالتالي وفرت لها تلك المنطقة الأثمار لها ولصغارها وساعدتهم من الجوع الذي كاد ان يهلكهم [5].

وكان للحياة الخشنة التي عاشتها أو ـ الون وأولادها أثرا في تنامي القسوة في قلوب أولئك الأولاد ومنهم بتموجين الذي كان أكبر أولاد أو ـ الون وقد عانى معها قسوة الحياة لذلك حمل في دواخل نفسه الكثير من القسوة والقوة بعد أن روضته الطبيعة بكل المصاعب التي عاشها والتي جعلت منه فيما بعد أقوى وأوحش زعماء العالم آنذاك . [6]

وعلى الرغم مما حملته الطبيعة من قسوة غير أن أو ـ الون حاولت أن تحول تلك القسوة إلى قوة ونستثمرها إلى حكمة وخاصة في تربية أولادها ولذلك كانت أو ـ الون تعلم أولادها وخاصة بتموجين كيف يمكن أن تكون القوة التي أملتها عليه الطبيعة وحدها لا تكفي فلا بد للحكمة وحدها لا تكفي فلا بد من الحكمة والوحدة مع بعضهم البعض فكانت تذكرهم قائلة ((ليس لكم أي رفيق سوى ظلكم))[1] ثم شرعت تذكرهم بالواجب الملقى على عواتقهم وهو إعادة شمل القبيلة الذي تشتت والأخذ بثار والدهم الذي قتلته القبائل التتارية[2] . وقد لجأت أو ـ الون إلى تعليم أولادها كل الأساليب القتالية التي تمكنهم من العيش والدفاع عن أنفسهم من مخاطر الآخرين فقد علمتهم كيف يمارسون الصيد وركوب الخيل والاعتماد على

---

[2] لامب ، جنكيز خان وجحافل المغول ، ص16 ؛ اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص190

[3] كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص28 .

[4] الصدفي ، تاريخ دول الإسلام ، ج2 ، ص 267 ؛ فهمي تاريخ الدولة المغولية ، ص30 .

[5] إقبال ، تاريخ المغول ، ص57 ؛ صفا ، تاريخ ادبيات ايران ، ج5 ، ص4 .

[6] شيولد والعالم الإسلامي ، ص22 .

[1]كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص8 .

[2] غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، ص 61 ـ 62 .

أنفسهم في البحث عن الطعام وصيد الأسماك على طول نهر أونون وبحيرة بيكال والخوض في غمار الطبيعة القاسية في برودتها القارسة وشتاءها الطويل وصيفها الحار المحمل بالحصى والرمال[3] .

وإن استمرت تلك الحياة الجدباء القاسية على أو ـ الون لفترات طويلة غير إنها لم تكن دائمة فقد نجح بتموجين بعد أن اشتد عوده وأصبح شابا قادرا على النهوض بأعباء الحياة تولى زعامة أسرته بدلا من أمه أو ـ الون التي سلمته قيادة أمر الأسرة ثم سرعان ما نجح بتموجين في إظهار القوة والمقدرة في الدفاع عن أسرته بعد أن أعاد خيوله المسروقة من أحد القبائل المغولية القوية وبذلك أثبت مدى الجرأة التي كان يتمتع بها رغم صغر سنه فتجمع حوله عدد من الشبان الذين وجدوه قائدا لهم وبدأت غزواتهم على مضارب القبائل المغولية التي حاولت التعرض لبتموجين وأسرته حتى أصبح قائدا على من كان تحت لوائه من الأعوان والصحاب ثم تحولت تلك القيادة إلى زعامة واستطاع جذب القبائل القوية إليه في بدء الأمر من خلال التحالف معها تارة ومحاربتها تارة أخرى[4] .

وبعد أن أصبح بتموجين أقوى الزعماء القبليين في آسيا بقيت الأم أو ـ الون تحظى بمنزلة رفيعة عند ذلك الزعيم فقد كان يستشيرها في كل أمور حياته حتى العسكرية منها وجعل لها خيمة خاصة أحاطها بالحرس وجعل في خدمتها عدد من نساء المغول وقد امتلكت أو ـ الون قلبا عطوفا إلى جانب عقلها الراجح إذ كانت تقوم بتربية الأطفال الذين يتم جلبهم أسرى إلى خيامها حتى جعلتهم أخوة لتيموجين وغرست في أنفسهم الكثير من الحب والقوة والحكمة التي علمتها لأولادها وللأولاد الذين ربتهم حتى جعلتهم من أفضل القادة الذين اعتمد عليهم بتموجين في حروبه وهم كل من (شيجي ـ قوتوقو ـ بوروقول ـ وجوشو ـ كوكوتشو) وكان يتموجين يخاطب هؤلاء الأخوة قائلا لهم ((عندما تركككم أهلوكم في معسكرات الأعداء التقطتكم والدتي وأوقفتكم على أقدامكم وحمتكم ورفعتكم إلى منزلة أبناءها وعملت منكم رجالا أشداء وأصبحتم رفقاء لنا فنحن ..... وصرتم كظل لنا))[1] . ويبدو أن بتموجين كان قد التزم باحترام وحب أخوته بالتبني حبا واحتراما للأم أو ـ الون .

واستمر بتموجين يدين بالطاعة والاحترام للأم الحكيمة أو ـ الون حتى أنه عفى عن أخيه قاسار الذي كان قد اتهم بالخيانة بعد أن غضبت تلك الأم من تصرفات بتموجين وبينت له أو ـ الون أن لا يأخذ بكلام الغير ضد أخيه وأمرته بمسامحته والعفو عنه بعد أن كان يردد قائلا : ((إن أمي أشعرتني بالخجل أمامها بعد أن أنبتني لما فعلته بأخي قاسار))[2] .

---

[3] عمران ، المغول وأوروبا ، ص32 ؛ أبو مغلي ، ايران دراسة عامة ، ص223 .

[4] ميراخواند ، تاريخ روضة الصفا ، ج5 ، ص48 .

[1] الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ، ص96 .

[2] قزويني ، تاريخ كزبدة ، ص 572 ـ 573 .

توفيت أو ـ الون[3] بعد أن نجحت في تحويل تلك العائلة الصغيرة المشردة في سهوب منغوليا إلى أبطال أشداء وقادة وحكماء ورجال دولة استطاعوا بفضل ما قدمته تلك المرأة من بناء صرح إمبراطورية حكمت العالم لسنوات طويلة .

ومن النساء اللواتي كان لهن اثرا في حياة المغول في قيام الدولة زوجة جنكيز خان (بورتي) تلك المرأة التي كانت تتولى قيادة القبيلة والعائلة عندما كان جنكيز خان يخرج للحرب ضد القبائل المغولية التي كانت تنازعه السيادة على مناطق نفوذه ولذلك حملت بورتي لواء الدفاع عن القبيلة مع ما كان يتركه زوجها جنكيز خان من قوات لحراسة مضاربهم وعدد من نساء المغول ولذلك فان بورتي كانت تأخذ على عاتقها الحراسة ليلا مع جنود المغول لحماية قبيلتها التي ضمت النساء والأطفال وعددا قليلا من الرجال وحماية أسرتها من غزو القبائل الثائرة ضد سلطة ونفوذ زوجها جنكيز خان [1].

عرف عن بورتي ابنة ويسيثين بالقوة وخوضها المعارك إلى جانب والدها ويسثين زعيم قبيلة الاونجيرات فقد كانت بورتي تخرج بصحبة والدها للحرب مع القبائل الأخرى تلك القوة والشجاعة التمسها يسوكاي والد جنكيز خان والذي طلب خطبة بورتي لإبنه جنكيز خان عندما كان صغيرا . فتمت تلك الخطبة إلا أن وفاة يسوكاي حالت دون إتمام أمر الزواج بعد أن انفضت عنه القبيلة وترك لوحده يواجه مصاعب الحياة إلا أن بورتي رغم انقطاع جنكيز خان عنها وغيابه الطويل بقيت محافظة على وعدها الذي قطعته مع جنكيز خان بأن تكون مخلصة له في حضوره وغيابه وحافظت بورتي على تلك الخطبة لأكثر من سنتين حتى عاد جنكيز خان لقبيلته الأونجيرات مطالبا بخطيبته التي طال انتظارها لزوجها الموعود فتم ذلك الزواج وحملت بورتي إلى مضارب خيام جنكيز خان لتكون أول امرأة احتلت مكانة الصدارة في قلب جنكيز خان [2].

لقد كان بتموجين ببورتي منعطفا مهما في حياته إذ أنه كان إشارة إلى نهاية أيام المحن التي عاشها بتموجين بعد أن نجح في كسب عروسه التي طال انتظاره لها كما حصل بفضل هذا الزواج على تحالفا من أهم وأقوى القبائل في منغولية إلا وهي قبيلة زوجته بورتي الأونجيرات التي أمدته بالقوة والعدد للوقوف إلى جانبه ضد القبائل الأخرى[3] .

أثبتت بورتي شجاعتها ليس في الدفاع عن قبيلتها فحسب بل في التخلص من الخطف الذي تعرضت له على يد قبيلة المركيت التي وجدت طريقا للثأر من جنكيز خان لما كان بينهم من حرب وعداء مستمر ففي الوقت الذي خرج جنكيز خان يحارب ويضرب مضارب القبائل الأخرى كان معسكره

---

[3] كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص 22 .

[1] Dviadimircov , cen gizhan , p , 48 – 49 .

[2] غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، ص65 ـ 66 .

[3] المرجع نفسه ، ص66 .

أشبه ما يكون خاويا إلا من عدد قليل من الرجال الذين تولوا الحراسة وعدد من النساء والأطفال ومن ضمنهم زوجة جنكيز خان بورتي التي كانت تتولى حماية قبيلتها وأسرتها إلا أن قبيلة المركيت استغلت خلو معسكر جنكيز خان من عدد الرجال فهجموا على خيامه وقتلوا رجاله وبادروا إلى أخذ زوجته بورتي أسيرة [1] .

ولقد حاولت بورتي إنقاذ عائلتها وأطفالها الصغار بعد أن طلبت من أم جنكيز خان أو ـ الون الاختباء في حظيرة صغيرة بعيدا عن أعين المركيت وحاولت تشتيت أنظار الأعداء بالهرب لوحدها حتى لا يقتربوا من مكان اختباء أو ـ الون وأطفالها لذلك بادرت إلى الهرب أمام أعين رجال قبيلة المركيت وانطلقت بعربتها إلا أن جنود المركيت انطلقوا وراءها ونجحوا في القبض عليها وأخذها أسيرة إلى قبيلتهم بعد أن عرفوا أنها زوجة جنكيز خان ولذلك وجدوا أنهم حققوا نصرا كبيرا في تلك الإغارة ولم ينشغلوا إلا بتلك الأسيرة الشرسة التي كانت تضاهي زوجها قوة وإقداما [2].

لم يطل بقاء بورتي في أسرها طويلا إذ أنها حاولت الفرار ليلا من مضارب المركيت غير أنها فشلت الا أن جنكيز خان ما أن علم بأمر هجوم المركيت على قبيلته حتى عاد مسرعا ليتوجه بجيشه إلى مضارب المركيت ويخوض معهم معركة آلت إلى قتل عدد كبير من قبيلة المركيت وتحرير الزوجة بورتي فعاد جنكيز خان وهو يحمل بورتي على صهوة جواده مستبشرا بتلك الزوجة التي ارتفع شأنها بين القبائل لذكائها وفطنتها وشجاعتها ، وقد قطعت بورتي مع جنكيز خان سنوات طويلة شاركته في أكثر حروبه إذ أنه كان إذا خرج تتولى القيادة في القبيلة ولم تخرج معه في حروبه التي امتدت شرقا وغربا [3] .

لقد برهنت بورتي بعد كل ما عانته مع زوجها جنكيز خان من المصاعب أنها مستشارة حكيمة لا يستغني زوجها عن مشورتها ففي اللحظات الحاسمة عندما كان جنكيز خان يتردد في البت في أمر من الأمور ، كانت أفكار بورتي هي التي تسود وتنفذ إذ أن خلف تلك الأفكار كان الهدف ويعد النظر واضحا عند تلك المرأة [4] .

وتمتعت بورتي بالاحترام الشديد في عيني زوجها العظيم وعلى الرغم من أن جنكيز خان حصل على العديد من النساء الثانويات اللواتي تزوجهن لعقد التحالفات مع بقية القبائل الأخرى التي أنظمت تحت لوائه أو الزوجات التي حصل عليهم من أسرهن فأصبح لجنكيز خان زوجات أخريات غير بورتي وكان يأخذهن في حملاته إلى البلدان البعيدة بينما لم تبرح بورتي وظلت في منغوليا دائما [1] .

---

(1) Howorth , history of themongol , p . 83 .

(2) Ibid , p 84 – 85 .

(3) كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص48 .

(4) الهمذاني ، جامع التورايخ ، (خلفاء جنكيز خان) ، ص136 .

(1) كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص 46 .

ومنح جنكيز خان لأولاد بورتي الوراثة والإرث دون غيرهم من أولاده الآخرون تكريما وحبا لزوجته بورتي وكانت مرتبة بورتي أعلى المراتب سواء بين الرجال أو النساء ولم يتأثر احترامه لها حتى بعد أن سبتها عصابات المركيت بل زاده حبا واحترما لها [2].

وهكذا بقيت بورتي السيدة الأولى المفضلة لزوجها جنكيز خان وشريكة ذلك الفاتح في فتوحاته وانتصاراته في تلك الملحمة البطولية التي خاضها .

المبحث الثاني : دور النساء غير المغوليات في حكومة جنكيز خان

كان للنساء من غير قبيلة المغول دورا بارزا في حكومة جنكيز خان فقد حصل جنكيز خان على عدد من النساء عن طريق معاركه فأصبحن أسرى لديه ولذلك كانت النسوة غنائم توزع بين قادة المغول بعد أن يختار جنكيز خان لنفسه من النسوة ما يريد ولعل أسرى نساء التتار كن من المحظيات عند جنكيز خان بعد أن دمر ذلك الزعيم المغولي قبائل التتار فقتل رجالهم وسبى نساءهم فكان لنساء التتار بعد أن أصبحن في حوزة جنكيز خان دورا في تسييس سياسة ذلك الفاتح [1].

لقد أبدى جنكيز خان رغبته أثناء توزيع غنائم التتار بأن يحصل على (ييسوجين) ابنة الزعيم التتاري (ييكي تشيرين) وتذكر الروايات التاريخية أن جنكيز خان شعر بحب عارم تجاه تلك الفتاة التتارية (ييسوجين) ولذلك اتخذها جنكيز خان زوجة له [2] .

إن زواج جنكيز خان من ييسوجاي ساعد كثيرا من بقية التتار الأسرى عند المغول فقد نجحت ييسوجاي في إقناع جنكيز خان بعدم قتل من بقي من قومها والاستفادة منهم وبذلك تمكنت ييسوجاي من إنقاذ شعبها ودمجهم ضمن القبائل المغولية الداخلة في طاعة جنكيز خان وخاصة أن التتار قبائل عرف عنها بالقوة والبأس في ساحات القتال .

ولم يقف نبل تلك الفتاة التتاري إلى حد إنقاذ شعبها فحسب بل أنها سعت للتنازل عن مكان ملكها كزوجة لذلك الفاتح المغولي إذ استطاع العثور على أختها (ييسوي) التي هربت ولم يتم العثور عليها بعد غزو المغول لمضارب التتار لذلك أعلنت ييسوجاي بأنها سوف تتنازل عن العرش لأختها إذا تم العثور عليها ولذلك أخبرها جنكيز خان قائلا : ((إذا كانت أختك جميلة مثلك فسوف أرسل من يبحث عنها ولكن إذا وجدناها هل توافقين أن تشاركك أختك مكانك بجانبي)) [3] . وما كان جواب ييسوجاي إلا

---

[2] غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، ص68 .

[1] Viadimir , cengizhan , p 53 – 54 .

[2] الهمذاني ، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ، ص143 .

[3] كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص173 .

الموافقة على اقتراح جنكيز خان[4] . وقد جاءت تلك الموافقة رغبة من ييسوجاي في العثور على أختها . وبعد اتفاق جنكيز خان مع ييسوجاي أرسل فرقة عسكرية للتفتيش عن ييسو وبعد البحث المتواصل تم العثور على ييسوي وأخذت إلى جنكيز خان وحالما رأت ييسوجاي أختها تنازلت لها عن مركزها في مراتب الزوجات الملكية ورضت لنفسها دون إكراه مركزا أدنى من مركز أختها [1].

وما أن حلت يسوي محل أختها حتى تزوجها جنكيز خان غير أنه أبقى على أختها يسوجاي التي أعجبت جنكيز خان لما عرف عنها من ذكاء وفطنة [2]. وبالتالي تزوج جنكيز خان كلا الفتاتان التتاريتان .

وما أن تم الزواج من تلك الفتاتان التتاريتان حتى جلس بتموجين في احتفال يشرب القميز . وبجواره زوجاته وفجأة ذرفت ايسوي دموعا بحزن وأسى فانتاب بتموجين الشك وصار يردد في داخله ((يا ترى رأت محبوبها)) ثم أمر بانصراف الجميع علما أن يسوي كان لها خطيب هرب بعد أن القي القبض على يسوي التي حملت إلى جنكيز خان وبعد انصراف الجميع من حضرة الزعيم المغولي لم يبق إلا شاب غريب في هيئة رجل نبيل فسأله بتموجين من أنت ؟ فأجاب : أنا خطيب ايسوي بنت يكي التتري لقد بطشت بنا فهربت فزعا والآن يبدو أن الوضع قد هدأ فحضرت إلى هنا معتقدا بأنه لا يمكن التعرف علي وسط هذا الحشد فقال بتموجين لقريبه أن أمثال هذا الصعلوك لا يستحق الا الموت أبعدوه عن نظري ..... وهكذا قطع رأسه فمات ضحية حبه ولم تتمكن ايسوي من إنقاذ خطيبها الا أنها كانت خلسة تذرف الدموع عندما تتذكر وجهه الصبوح الناظر[3] . وان كانت ايسوي فشلت في إنقاذ خطيبها إلا أن أختها الكبرى نجحت في إنقاذ شعبها من القتل بعد أن أمر بدل قتل قومها وبطلب من زوجته التتارية ايسوجاي باندماجهم بالجيش المغولي .

وإلى جانب النساء التتاريات اللواتي اتخذهن جنكيز خان زوجات له اتخذ من أميرات الكرايت زوجات له أيضا ..... الخان المغولي دون سبي فعلى الرغم من أن قبيلة الكرايت دخلت في حرب مع جنكيز خان إلا أنهم عقدوا حلفا مع جنكيز خان وذلك التحالف اصحب قويا بعد الاتحاد العائلي بين الزعيم المغولي والزعيم الكرايتي فقد كان لزعيم الكرايت (لجاقاجامبو) ابنتان وهما (إباقا ـ بيكي) و (سورغاقتاني) وقد اتخذ جنكيز خان من (اباقابيكي) زوجة له وأعطى (سورغاقاني) لولده الأصغر الأمير (تولوي) [1].

---

[4] المرجع نفسه ، ص173 .

[1] بخيت ، تاريخ المغول ، ص59 .

[2] المرجع نفسه ، ص59 ـ 60 .

[3] كيتشانوف ، حياة تيموشلجين ، ص172 .

[1] Eberhard , History of china , p 60 .

ولم يحتفظ جنكيز خان بزوجته الأميرة الكرايتية (إباقا ـ بيكي) طويلا إذ أنه أهداها إلى صديقا له اسمه (جورشيداي) وكان السبب في عدم احتفاظ جنكيز خان بتلك الزوجة أن جنكيز خان تأثر بحلم كان أشبه بكابوس بالنسبة له فقد رأى في ذلك الحلم إنذار من السماء وعندما استيقظ وجد (إباقا ـ بيكي) نائمة بقربه فتشائم منها وأخبرها أن الإله تيجري [2] يأمر أن يعطيها لشخص آخر وبالفعل منح جنكيز خان زوجته مع كل ما ملكته من أموال وخيول وذهب إلى صديقه جورشيداي [3].

أما أخت (إباقا ـ بيكي) الأميرة (سورغا قتاني) فقد بقيت زوجة لتولوي بن جنكيز خان وكانت ذكية وصادقة وقد أهلها إحساسها السياسي أن تشغل دورا رئيسيا في الأحداث التي مرت بها الإمبراطورية المغولية بعد تولوي بن جنكيز خان فبعد خمسين سنة كانت هي التي قررت وجهة الإمبراطورية المغولية وذلك لأنها أصبحت أما للخانات العظام (مونكو) و (قوبيلاي) وخان بلاد فارس (هولاكو) وبصفتها تسطورية مخلصة فقد كانت حامية قوية للكنائس المسيحية وإن الشعبية التي تمتعت بها الديانة المسيحية في الإمبراطورية المغولية في الصين وإيران كما في أواسط آسيا ترجع إلى حد بعيد إلى تأييد تلك الإمبراطورة التي كانت من أصول كرايتية [4].

المبحث الثالث :أثر النساء المغوليات في إدارة الإمبراطورية المغولية

بعد وفاة جنكيز خان(624هـ) تولى حكم البلاد ابنه اوكتاي (626 هـ) الذي توفي هو الآخر سنة(639 هـ) ومع وفاته واجه المغول أزمة سياسية كبيرة في اختيار من يخلف أوكتاي على منصب الخانية حيث بدأت الأطماع على منصب الخانية والخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة.[1]

وكان أوكتاي خان في حياته قد جعل ولاية العهد لإبنه الثالث كوجو غير أنه توفي في حياة أبيه فاختار اوكتاي لولاية العهد حفيده شيرامون بن كوجو على الرغم من صغر سنه لأنه كان يحبه كثيرا ويفضله حتى على أبنائه وجريا على عادة المغول أن يكون هناك وصي يتولى الحكم خلال الفترة الانتقالية بين وفاة الخان وتنصيب الخان الجديد والفترة الانتقالية هذه قد تستغرق عدة سنوات ولما كان أبناء الخان المتوفى جميعهم خارج منغوليا منشغلين بحركة التوسعات الخارجية التي كان قد كلفهم بها أبوهم . فإن الخاصة والعامة ممن كان في مقر حكم أوكتاي قد اجتمعوا وأقروا بأن تكون زوجة أوكتاي (موكا خاتون) وهي التي كان قد ورثها أوكتاي عن أبيه جنكيز خان كزوجة له على حسب عاداتهم هي من تتولى تصريف شئون الحكم [2].

---

[2] Ibid , p 61 – 62 .

[3] غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، ص82 .

[4] المرجع نفسه ، ص83 .

[1] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص388 ؛ اليوسف علاقات بين الشرق والغرب ، ص195 .

[2] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص222 .

ولما كانت توراكنه خاتون زوجته الكبرى وأم أولاده الكبار[3].أكثر حكمة ومعرفة من (موكا خاتون)فقد تصدت للحكم وأسرعت في إرسال الرسل إلى أبناءها وأمراء الأسرة الحاكمة تشرح لهم أحوال البلاد وتطلب منهم تعيين من يتولى شئون السياسة والحكم بدلا من موكا خاتون الجاهلة في نظر توراكنه خاتون في شئون السياسة على أن يكون من يختارونه تتوفر فيه القدرة على حسن إدارة البلاد ويهتم بالرعية ويثبت دعائم الجيش وجاء الرد سريعا من الأبناء أن تكون أمهم توراكنه هي التي تستلم مهمة تصريف الحكم لحين عقد مؤتمر(القوريلتاي)[4] لتنصيب خان [1] ولقد جاء اختيار توراكنه خاتون كونها كانت الزوجة المفضلة للخان المغولي فضلا عن أنها كانت أم أولاد الخان الكبار إلى جانب ما كانت تمتلكه من الدهاء والكفاءة السياسية [2] . وبالتالي استطاعت توراكنه خاتون من إزاحة موكا خاتون عن الحكم ثم ما لبثت موكا أن توفيت بعد ذلك بوقت قصير[3] .

وسرعان ما سعت توراكنه خاتون خلال فترة حكمها التي استغرقت قرابة خمس سنوات[4] على تنصيب ابنها كيوك ليكون خانا أعظم للمغول بدلا من حفيدها الصغير في السن شيرامون[5] . مستخدمة نفوذها لتحقيق هذا الهدف وفي ذلك ذكر الهمذاني قائلا عنها ((ومصداقا لسيطرتها وتحكمها أنها لم تأبه بوصية زوجها في ولاية العهد ولم تسمع كلام الأخوة الكبار والصغار وأثارت الفتن بين أفراد الأسرة الجنكيز خانية)) [6].

ونجحت توراكنه خاتون في الإيقاع بين أفراد الأسرة الجنكيزية ممن كان يعارضها حتى تمكنت ببراعتها من خبط أمور الملك بلطف وحيلة وجذبت إليها قلوب الأقرباء بأنواع الهدايا والتحف ومال إليها أكثر الأجانب و العشائر والأقارب وانقاد الناس إلى أوامرها طوعا ورغبة وانضوى تحت قوانينها [7] وكان ممن اصطف إلى جانبها في معارضة تولي (شيرامون) الخانية الأمير باتو حيث كان شيخا معظما لكل

---

[3] الهمذاني ، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ، ص176 .

[4] ابن العبري، تاريخ الدولة السرياني، ص749 ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ، ص176 .

[1] شيولدا العالم الإسلامي ، ص40 .

[2] ابن العبري ، تاريخ الدولة السرياني ، ص749 ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ص 177 ؛ براون ، تأريخ الأدب في إيران ، ص547 .

[3] بارتولد ، تركستان من الفتح إلى الغزو المغولي ، ص671 .

[4] ستانلي ، طبقات سلاطين الإسلام ، ص197 .

[5] الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ، ص181 .

[6] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص222 .

[7] المصدر نفسه ، ص222 .

أمراء المغول فهو الأكبر سنا من بين أحفاد جنكيز خان[8] . إذ كان جميع أبناء جنكيز خان قد توفوا وآخرهم كان أوكتاي[9] . وقد كان باتو مسموع الكلمة عند الأمراء بحكم أنه سيد الجميع وذكر الهمذاني قوله في ذلك ((ويرجعون إليه في أمر تعيين الملوك وتنصيبهم))[1]. وهذا يدلل على المكانة المرموقة التي حظي بها الأمير باتو .

وعلى الرغم من سلسلة المحاكمات والإعدامات التي حدثت في بلاط الخان ضد كل من يعارض قرار توراكنه إلا أنها نجحت بمساعدة باتو في نهاية الأمر في إيصال (كيوك) لمنصب الخانية [2] .

وتشير المصادر التاريخية أن توراكنه خاتون كانت لها سياستها الخاصة في تحييد كل من تكون له أطماع بالسلطة وكان أولهم ابنها الثاني (كوتان) الذي ادعى أحقيته بالخانية مدعيا بأن جنكيز خان نفسه قد أوصى بأن يؤول العرش بعد موت والده أوكتاي إليه[3] .

وكان كوتان قد سعى لحشد التأييد له لتحقيق هدفه بأن استقطب عددا من المعارضين لحكم والدته [4]. غير أن مطالبته بالخانية لم تصل إلى حد رفع السلاح بوجه والدته التي تمكنت من خلال مبعوثيها له أن تثنيه عن أهدافه التي فترت بعد أن داهمه المرض [5]. فرضي بمكافأته تنكوت الصينية [6].

أما الخطر الثاني الذي واجهته توراكنه خاتون فقد تمثل بـ (اوتجكين) أخ جنكيز خان الذي كان حاكما على ولاية الخطا الصينية [7]. والذي استغل فرصة انشغال جيوش المغول في توسعاتهم الخارجية عند وفاة أوكتاي بأن قاد جيشا مزودا بالعدة والعتاد إلى معسكر توراخنه خاتون للسيطرة على مقر الحكم وتنصيب نفسه خانا وما أن علمت توراكنه خاتون بالأمر حتى أوكلت مهمة الدفاع والتصدي لأوتجكين إلى حفيدها منكلي أو غول [8]. وفي ذات الوقت أرسلت رسولا عنها إلى أوتجكين تقول له ((نحن كنائنك مستظهرون بك فما سبب قدومك بالجنود وبالعدة والعتاد إذ أن كافة الرعية والجنود قد اضطربوا))[1] ولم

---

[8] الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ، ص172 .

[9] المصدر نفسه ، ص149 – 169 .

[1] الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ، ص172 .

[2] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص223 .

[3] الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص181 .

[4] المصدر نفسه ، ص183 .

[5] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص224 .

[6] المصدر نفسه ، ص226 .

[7] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج5 ، ص527 .

[8] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص223 ـ 225 .

[1] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص223 ـ 225 .

تكتفي بذلك بل أرسلت إليه ابنه أوباتي الذي كان ملازما لها ليقنع والده بالعدول عن هذا الأمر [2]. وقد نجح في ذلك بأن ندم أونجكين وعدل عن فكرته وأعلن أنه جاء لتقديم العزاء بوفاة ابن أخيه أوكتاي وبذلك مهد السبيل للاعتذار ثم عاد إلى مقر حكمه [3].

ولم تشغل هاتان الحادثتان توراكنه خاتون عن مخططاتها بإزاحة أركان الحكم عن مناصبهم والذين يمثلون عصب إدارة الدولة وممن يشكلون مصدر تهديد لها في إيصال ابنها كيويك للخانية وأخذت تترصد لكبار الخصوم لتعطي لكل واحد استحقاقه من العقاب[4] .

وقد ساعدت توراكنه خاتون في تنفيذ سياستها ضد خصومها حاجبة لها تسمى فاطمة كان المغول قد أحضروها إلى قراقورم من مدينة طوس عندما استولى على بلاد ما وراء النهر وخراسان [5]. ثم ألحقت بخدمة توراكنه خاتون وكانت تلك المرأة غاية في الذكاء والكفاءة وموضعا للثقة وكاتمة أسرار الخاتون وكان عظماء الأقاليم يتخذونها وسيلة لتحقيق أغراضهم [6]. فأخذت توراكنه خاتون وبناءا على مشورة فاطمة تعزل الأمراء وأركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى زمن جنكيز خان وأوكتاي [7]. وكان أول من استهدفتهم صاحب الديوان محمود يلواج ويلواج كان أكبر وأقوى شخصية غير مغولية في دولة المغول وقد حاز على ثقة جنكيز خان وكان مستشاره المقرب إليه وولاة إقليم بلاد ما وراء النهر [8]. وبقيت هذه المكانة على عهد أوكتاي حيث شغل منصب صاحب الديوان وحاكما على ولاية الخطا الصينية كما نصب أوكتاي ابنه مسعود على ولاية بلاد ما وراء النهر [1].

وبعد وفاة أوكتاي بقي محمود وابنه في منصبهما دون اعتراض من توراكنه خاتون [2]. غير أن هذا القبول بهما كان مؤقتا ولم يدم طويلا ولاسيما مع محمود الذي دبرت له فاطمة مكيدة عند سيدتها توراكنه خاتون وفي هذا ذكر الهمذاني أن فاطمة كانت تضمر عداءا قديما لمحمود يلواج[3] .

---

[2] الهمذاني ، جامع التواريخ ، (خلفاء جنكيز خان) ، ص178 .

[3] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص225 ـ 226 .

[4] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص227 .

[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص228 .

[6]ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ، ص403 .

[7] إقبال ، تاريخ المغول ، ص173 .

[8]بارتولد ، تركستان من الفتح إلى الغزو المغولي ، ص654 .

[1]الهمذاني جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ، ص177 .

[2]المصدر نفسه ، ص177 ـ 178 .

[3] المصدر نفسه ، ص ـ 178 .

ويبدو أن التهمة التي ساقتها فاطمة ضد يلواج لا تخرج عن نطاق كونه من المؤيدين بالعمل بوصية أوكتاي في من يخلفه على منصب الخانية ولهذا أمرت توراكنه خاتون بعزله وعينت مكانه شخصا يدعى عبد الرحمن وأوفدت جماعة على رأسهم الأمير (أوقال قورجي) للقبض على يلواج وإحضاره مع أتباعه فلما وصل هؤلاء استقبلهم يلواج بالبشر والترحاب وقدم لهم مراسيم الإكرام والأعذار وظل يومين مشغولا بالتودد لهم . حتى تمكن من خداعهم بعد أن عرف حقيقة أمرهم فهرب خفية وسرعان ما لجأ إلى كوتان بن أوكتاي فأمنه وشمله بعطفه [4].

وقد لجأت توراكنه خاتون إلى إلقاء القبض على الوزير (جنيقاي) الذي كان صاحب الأمر والنهي زمن أوكتاي لاسيما وأن هذا الوزير لم يكن متعاطفا مع رغبة توراكنه خاتون في إيصال ابنها كيوك لمنصب الخانية غير ان (جنيقاي) علم بما يدبر له فهرب ملتجأ عند كوتان أيضا[5].

لقد أثار هروب يلواج والوزير جنيقاي حفيظة توراكنه خاتون التي أرسلت إلى ابنها كوتان تطلب منه تسليمهم إليها فأجاب كوتان ((إن بغاث الطيور التي تهرب من مخالب الصقر وتلجأ إلى شجرة الشوك تؤمن من صولة العدو ، وحيث أنهما لجآ إلينا تكون إعادتهما أمرا بعيدا عن المروءة وسأحضرهما عندما ينعقد مجلس الشورى وبحضور الأقارب والأمراء للتأكد إن كانوا مذنبين أم بريئين)) ولكن توراكنه خاتون كررت طلبها إلى ابنها مرات عدة وهي تصر على حضورهما فكان كوتان يعتذر عن عدم إرسالهما إلا بعقد المجلس [1] ولما أيقنت توراكنه خاتون أنه لن تتمكن من استعادة يلواج والوزير جقتاي اتفقت مع الأمير عماد الملك محمد الختني الذي كان من جملة أمراء أوكتاي وعلى صلة بها على تلفيق التهم ضدهما لكي تضمن تعليق الأغلال في أقدامهما عند محاكمتهما في الاجتماع الرسمي المزمع عقده [2].

وسرعان ما تغيرت الأوضاع ولم يعقد المجلس المذكور وذلك بسبب وفاة كوتان كما تراجع عماد الملك عن الوشاية بسبب الضغوطات التي وقعت عليه من قبل أبناء كوتان [3]. وبالتالي بقي يلواج وجينقاي في حماية أبناء كوتان ثم ما لبثا أن استجارا بعميد أمراء المغول (باتو) الذي توسط لهما وأعادهما إلى مكانتهما على عهد كيوك خان سنة (644هـ / 1246م) [4].

---

[4] الهمذاني ، جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان) ص178 ـ 179 .

[5] المصدر نفسه ، ص179 .

[1] إقبال ، تاريخ المغول ، ص173 .

[2] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص 228 .

[3] المصدر نفسه ، ص229 .

[4] ستانلي ، طبقات سلاطين الإسلام ، ص197 .

أما مصير سائر الأمراء ممن كان يعترض على رغبة توراكنه خاتون في تولي كيوك العرش فقد تخلصت من معظمهم أما بعزلهم أو بقتلهم [5]. ويبدو أن توراكنه خاتون نجحت بالفعل بفضل تلك السياسة من بقاء العرش تحت أنظارها طيلة فترة بقاءها فيه .

وبعد أن استمكنت توراكنه خاتون من الجميع وظل عرش الخانية تحت إمرتها ما يقارب الخمس سنوات (639 ـ 644 هـ / 1241 ـ 1246 م) غدت الظروف مهيأة لتحقيق هدفها ولذلك أرسلت الرسل إلى كبار أمراء أسرة جنكيز خان وحكام الأقاليم وقادة الجيش لحضور جلسة المؤتمر (القوربلقاي) لتنصيب كيوك رسميا خانا أعظم للمغول [6].

عرف عن كيوك الذي أصبح خانا أعظم للمغول بالبطش والسيطرة ولذلك ما أن تسلم منصبه في حكم البلاد حتى أقلقه احتفاظ معارضيه بالمكانة التي كانوا عليها زمن أبيه ولاسيما من أمراء أسرة جنكيز خان ولذلك أمر بمعاقبة عمه أوتجكين الذي حاول غزو معسكر والدته توراكنه خاتون بهدف السيطرة ولذلك عده الخان كيوك مذنبا [1].

أما الإجراء الثاني الذي اتخذه كيوك خان فكان التخلص من الحاجبة فاطمة التي أخذت تشكل مصدر تهديد له من خلال تحريض أخوته عليه عن طريق تأثيرها على والدته توراكنه خاتون التي بقيت تتدخل في شؤون الحكم [2].

ويبدو أن صاحب محمود يلواج كان له دور كبير في التأثير على كيوك للتخلص من فاطمة التي تم محاكمتها بتهمة أنها كانت وراء مرض كوتان وفي الوقت نفسه وجد الخان الجديد كيوك أن القضاء على فاطمة يعني التخلص من تدخلات والدته في شؤون الحكم باعتبار أن فاطمة هي التي كانت توجهها وهكذا أدينت فاطمة بجرم لم تقترفه [3]. وعندها أمر كيوك بلفها داخل لباد ورميها في الماء فماتت غرقا [4]. ومن ثم كان موت فاطمة صدمة كبيرة لوالدته التي لم تستطع تحمله لذلك ما لبثت أن ماتت كمدا عليها بعد فترة قليلة من موت فاطمة [5].

---

[5] العبري ، المغول ، ص188 .

[6] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص231 .

[1] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص233 .

[2] المصدر نفسه ، 233 .

[3] المصدر نفسه ، ص233 ـ 234 .

[4] ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ، ص4.

[5] المصدر نفسه ، ص4ـ 5 .

وقد أخذ كيوك على عاتقه إعدام كل من كان له علاقة بفاطمة وبذلك نجح كيوك بالقضاء على أمر تدخلات فاطمة وأتباعها في شؤون الحكم [6].

وعلى هذا الأساس وقعت توراكنه خاتون ضحية أعمالها فبعد أن نجحت في إيصال ابنها إلى دفة السلطة وسلمته الخانية أخذ على عاتقه منعها من التدخل في شؤون حكمه بعد أن عزلها عن السلطة وبالتالي أدى الأمر إلى وفاتها .

ولم تكن توراخنه خاتون المرأة الوحيدة التي بذلت قصار جهدها لغرض الوصول إلى السلطة فقد كانت هناك المرأة الكرايتية (سيورقتيتي) وتسمى أيضا (بيكي) هي ابنة الأمير جاكمبو أخي أونك خان زعيم قبيلة الكرايت تلك المرأة التي كان قد خطبها جنكيز خان في حياته إلى ابنه تولوي الذي تزوجها في صغره [1]. وقد أنجبت له أربعة أولاد وهم منكو وقوبلاي وهولاكو واريق بوقا وجميعهم غدوا ذا شأن كبير في التاريخ السياسي لدولة المغول [2].

لقد حظيت (سيورقتيتي) بمكانة كبيرة لدى الأسرة الحاكمة المغولية ومكانتها انبثقت من كونها سليلة عائلة ملكية متمثلة بعمها أونك خان ونالت حب تولوي لتصبح الزوجة الأثيرة له وبعد وفاة ولوي غدا لا يواسي الخان كيوك في وفاة عمه سوى العناية الفائقة التي أولاها لسيورقتيتي وأبناءها ولذلك أمر بأن تفوض مصالح ولاية تولوي التي تتمثل بالموطن الأصلي للمغول منغوليا والتي غدت إرثا لعائلته طبقا لوصية جنكيز خان عندما قسم البلاد على اولاده الأربعة إلى سيورقتيتي كما عهد إليها شؤون تدبير الجيش وأن يكون الأبناء والجند طوعا لأمرها[3] .

وصف الهمداني سيورقتيتي بأنها امرأة عاقلة فاضلة أجادت تربية أبناءها فبذلت بكفاءتها جهود كبيرة في رعايتهم ولقنتهم الفضائل ولم تدع أن يقع بينهم نزاع على الإطلاق وألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهن البعض وقامت برعايتهم ورعاية الأبناء والأحفاد وجميع الأمراء العظام الذين كانوا قد آلوا إليها من جنكيز خان وتولوي وحافظت عليهم بحسن تدبيرها وسداد رأيها ولأنهم كانوا يرونها عاقلة وفي غاية الكفاءة لم يتخلفوا عن طاعة أوامرها [4]. كما أحسنت سيورقتيتي تنظيم شؤون ولايتها إلى قدر لم يكن بمقدور أي ملك أن يأتي بمثلها أو أن يقوم بتنفيذها [5]. كما وكان أوكتاي خان يستشيرها في مهام الأمور ومصالح البلاد ولم يكن يحيد عما تراه صالحا ولا يجوز التغيير والتبديل في كلامها فضلا عن ذلك فقد

---

[6] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص234 .

[1] الهمذاني،جامع التواريخ(خلفاء جنكيز خان)،ص160 ؛الغراوي العراق بين احتلالين ، ج1، ص124

[2] المصدر نفسه ، ص197 .

[3] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج2 ، ص186 .

[4] المصدر نفسه ، ص186 ـ 187 .

[5] الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص197 .

كان أتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام ولم يصدر عنهم في أي صراع أو فتنة شيء يخالف القوانين المغولية [1]. وعليه فإن هذا يعطي دليلا واضحا على أمرين الأول على مقدار التزامهم بالقوانين المغولية وثانيا يدلل الأمر على بالغ كفاءتهم ورجاحة عقلهم في التدبر بعواقب الأمر .

ولقد حرصت سيورقتيتي الحفاظ على تلك المكانة التي احتلتها بين أبناء قومها وعززتها بتقديم التحف والهدايا في المناسبات للأقارب والرعية [2]. وعلى الرغم من أن سيورقتيتي كانت تعتنق المسيحية وتعمل على نشرها [3]. غير أنها كانت تسعى لإظهار شعائر الشريعة الإسلامية فكانت تغدق الصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم إذ أنها منحت ألف كيس من الفضة لإقامة مدرسة في بخارى كما أمرت بشراء الضياع ووقفتها على تلك المدرسة وقد اختير لها المدرسون وطلاب على وكانت توالي إرسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي كما وأنفقت الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين وظلت تسلك هذا الطريق حتى آخر عمرها [4]. ويبدو أن موقف سيورقتيتي هذا من المسلمين جاء لغرض التخفيف من حدة الآلام التي كان يعانيها المسلمون على عهد الخليفة أوكتاي كيوك خان الذي لم يكن عهده خير للإسلام [5]. ولذلك حاولت سيورقتيتي أن تغير المعاملة السيئة التي عامل بها كيوك خان المسلمين بالإحسان إليهم والتقرب منهم .

إن المكانة التي حظيت بها سيورقتيتي على عهد أوكتاي استمرت في عهد كيوك خان على الرغم من رفضها الزواج منه على عهد أبيه أوكتاي خان الذي كان قد اقترح عليها بعد وفاة زوجها تولوي الزواج من كيوك ولكنها اعتذرت بحجة أنها تريد أن تتفرغ لتربية أبنائها[6].

أخذت سيورقتيتي على عاتقها التعامل بحذر شديد مع كيوك الذي عرف عنه بالبطش والتهور تجاه من يشك في ولائهم له [1]. ولذلك باشرت بالحضور لمراسيم تنصيب كيوك للخانية مع أبناءها قبل الجميع وهم محملين بأنواع الهدايا كدليل على فرحها بالمناسبة وكنوع من أنواع إظهار الاحترام والطاعة له [2].

ونجحت سيورقتيتي في اقتناص الفرصة المناسبة لكي تجعل من ابنها منكوخان خانا على المغول وخاصة بعد وفاة كيوك ومع خلو منصب الخانية من أي خان استطاعت سيورقتيتي . بما امتلكته من

---

[1] الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص197 .

[2] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج2 ، ص187 .

[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص188 .

[4] الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص198 .

[5] آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص251 .

[6] الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص171 .

[1] المصدر نفسه ، ص188.

[2] الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ج1 ، ص230 .

حنكة سياسية من التعاون مع كبار الشخصيات المغولية أصحاب الحل والعقد لغرض منح منكوخان منصب الخانية وعلى الرغم من المعارضة السياسية التي واجهت تلك المرأة إلا أنها استطاعت تدارك الأمر دون قتل و قتال وبالتالي وقفت إلى جانب أقوى الشخصيات المغولية أمثال باتو الذي وجد أن منكوخان الشخص الأكثر جدارة في تولي منصب الخان الأعظم وبالتالي تمت لسيورقتيتي ما أرادت . وبذلك أصبح منكوخان خان المغول واعتلى عرش الإمبراطورية المغولية بفضل والدته واستمر منكو خان باستشارة والدته في بعض أمور مملكته حتى وفاتها [3]. وبالتالي فقد أثبتت سيورقتيتي أن سياسة القتل ليست الطريق الوحيد لتحقيق المطامع والمطامح السياسية بل إن طريقة الدبلوماسية السياسية في تعامل الأمور هي طريقا آخر لكسب تلك المصالح وتحقيق الغايات للوصول إلى الهدف المنشود وهذا ما نجمت سيورقتيتي من تحقيقه حنكتها السياسية لإيصال ولدها لدفة الحكم .

((الخاتمة))

إن أهم ما يمكن استنتاجه في خاتمة بحثنا هذا : ـ

01 لعبت النساء المغوليات دورا بارزا في قيادة القبيلة قبل قيام الدولة المغولية فبرزت (أو ـ الون) كزعيمة قبيلة استطاعت بما امتلكته من مقدرة ورجاحة عقل من تولي زعامة قومها وأسرتها والمحافظة عليهم حتى قدر لأبنائها من تولي الزعامة بعدها وذلك بفضل الجهود التي بذلتها تلك المرأة والتي نجحت في أداء دور الزعيمة الناجحة والأم التي استطاعت العناية بأسرتها أمام مصاعب الحياة المختلفة .

02 قدر لحكومة جنكيز خان في بداية نشأتها أن تشهد دورا لنساء غير مغوليات في تولي إدارة سلطة جنكيز خان وإن لم تكن إدارة فعلية إلا أن بعضهن كان لهن دورا في إصدار القرار أو تغيير القرار بأمرهن وخاصة زوجة جنكيز خان التتارية يسوكاي التي استطاعت إقناع جنكيز خان بالعدول عن قراره في قتل التتار الذين وقعوا أسرى في المعركة وبفضل حكمة يسوكاي التتارية أصدر جنكيز خان أمرا بعدم قتلهم والاستفادة منهم في معسكره .

03 وشهدت الإمبراطورية المغولية ظهور نساء على الساحة السياسية كان لهن أثرا واضحا في تولي زمام الأمور وخاصة مع صغر سن الحاكم لذلك برزت نساء مغوليات استطعن قيادة الامبراطورية المغولية حتى يكون الابن قادرا على تولي السلطة والجلوس على العرش ولذلك فقد قدر لنساء المغول أمثال توراكنه خاتون وسيورقتيتي خاتون ، من تولي القيادة في إمبراطورية المغول إلا أن توراكنه خاتون سعت للمحافظة على السلطة وإبقاءها بيد ابنها الأكبر مستخدمة أسلوب القتل والنفي والمؤامرة للإطاحة بكل

[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص238 .

خصومها السياسيين ولى الرغم من المقدرة التي امتلكتها تلك المرأة إلا أن سياسة القسوة والقوة التي استخدمتها عجلت من زوال نفوذها السياسي أما سيورقتيتي فقد استطاعت استغلال نفوذها السياسي والسعي لتحقيق أهدافها في إيصال ابنها لسدة الحكم من خلال أسلوب المهادنة السياسية وكسب ود كبار الشخصيات المغولية الذين كانوا أصحاب الحل والعقد في الإمبراطورية المغولية فضلا عن سياسة المسامحة والمصالحة التي استخدمتها لتحقيق غايتها في السلطة جعل تلك المرأة محل احترام وتقدير المغول وبالتالي وصولها إلى هدفها في تولي ابنها منكوخان دفة السلطة.

لقد أثبتنا في بحثنا هذا أن للمرأة القدرة على تحقيق أهدافها للوصول إلى غايتها المنشودة والتي تمثلت بالجلوس على عرش الخانية المغولية غير أن تلك النسوة كان لكل منهن طابعها الخاص وسياستها التي استخدمتها لتحقيق مآربها في الحكم فبعضهن حكم من وراء الستار وبعضهن حكم بشكل مباشر وبعضهن كن قويات الشكيمة حكيمة فيما تريد تحقيقه والبعض الآخر استخدمت إلى جانب القدرة القسوة في الوصول إلى الغاية فكانت النتيجة أن تركت المرأة المغولية أثرا ملموسا وقدرة واضحة في تولي إدارة الإمبراطورية المغولية .

((قائمة المصادر والمراجع))

اولا : ـ القرآن الكريم .

ثانيا : ـ المصادر العربية : ـ

01 الجويني ، علاء الدين عطاء الملك بن بهاء الدين (ت 658 هـ) .

* تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، نقله عن الفارسية محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، القاهرة 1985 . .

02 الرمزي ، م.م. (ت 1130 هـ) .

* تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر (بيروت ، 1939م) .

03 الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764 هـ) .

* الوافي بالوفيات ، منشورات تشايز بفسبادن (1981م) .

04 القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت 821 هـ) .

* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت 1987م.

05 قزويني ، احمد بن ابي بكر محمد (ت750 هـ) .

* تاريخ كزيدة مؤسسة انتشارات أمير كبير (تهران 1339 هـ) .

06 القرماني ، أبو العباس احمد بن يوسف الدمشقي (ت 1019 هـ) .

* اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت 1982م .

07 ابن العبدي ، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون (ت 685 هـ) .

* تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبناني ، بيروت 1983م .

08 ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ إسماعيل عمر الدمشقي (ت 774 هـ) .

* البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1977م .

09 الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت 718 هـ) .

* جامع التواريخ ، ترجمة صادق نشأت ، دار إحياء الكتب العربية 1960 م .

010 ميراخواند ، مير محمد بن سيد برهان الدين (ألفه في القرن السادس الهجري) .

* تاريخ روضة الصفا ، كتابغرو شيهاي مركزي خيام (تهران 1939 م) .

ثالثا : ـ المراجع العربية

01 إقبال ، عياس .

* تاريخ مفصل إيران ، طبعه (1347 هـ) .

02 أبو مغلي ، محمد وصفي .

* إيران دراسة عامة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة 1985م .

03 آرنولد ، سير توماس .

* الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة 1970م) .

04 بروكلمان ، كارل .

* تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية أمين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت 1977م.

05 براون ، ادوار جرانفيل .

* تاريخ الأدب في ايران نقله إلى العربية إبراهيم أمين ، مكتبة الثقافة الدينية ،(القاهرة 2004).

06 ستانلي ، لين بول .
* طبقات سلاطين الإسلام ، المنشورات المصرية للطباعة والنشر 1968م .
07 شبولوا برتولد .
* العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد اسعد ، دار إحسان للطباعة والنشر ، دمشق 1982م .
08 غروسيه ، رينيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، نقله إلى العربية خالد عيسى ، دمشق 1982 .
09 عمران ، محمود سعيد .
* المغول وأوروبا ، دار المعرفة الجامعية 1997 م .
010 الغراوي ، عباس .
* تاريخ العراق بين احتلالين ، مطبعة بغداد 1935م .
011 العريني ، السيد الباز .
* المغول ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1967 م .
012 فهمي ، عبد السلام عبد العزيز .
* تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف 1981م .
013 كيتشانوف .
* حياة بتموجين ، ترجمة طلحة الطيب ، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي 2005 م .
014 لامب ، هارولد .
* جنكيز خان ، إمبراطور الناس كلهم ، ترجمة بهاء الدين نوري ، مطبعة سكك الحديد ، بغداد .
015 اليوسف ، عبد القادر احمد .
* علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، المكتبة المصرية ، بيروت 1969م .

رابعا : ـ المراجع الأجنبية

1) Viadimircov , cengizhan , B . Y : cengizhan ; ceriren hasanAli Ediz , bilim .
2) Howorth , henry , history of the mongol from the 9 th to 19 th century , Bat frankin.